

تفسير الصافي

(307) ألفا. ويقللکم في أعينهم: حتى قال قائل منهم: إنما هم أكلة جزور، وقال أبو جهل: ما هم إلا أكلة رأس لو بعثنا عليهم عبيدنا لأخذوهم أخذا باليد، كما مر ذكره في القصة، وإنما قللهم في أعينهم ليجترؤا عليهم قبل اللقاء، ثم كثرتهم فيما بعد اللقاء ليفجأهم الكثرة فيها بوا، وتقل شوكتهم حين يرون ما لم يكن في حسابهم، وهذا من عظام آيات تلك الوقعة، وعجائب قدرة الله فيها، فإن البصر وإن كان قد يرى الكثير قليلا، والقليل كثيرا لكن لا على هذا الوجه ولا إلى هذا الحد. ليقضي الله أمرا كان مفعولا وإلى الله ترجع الأمور. (45) يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة: إذا حاربتهم جماعة كافرة أو باغية، واللقاء مما غلب في القتال. فاثبتوا: لقتالهم ولا تفرقوا. واذكروا الله كثيرا: في مواطن الحرب داعين له مستظهريين بذكره مترقبين لنصره. لعلكم تفلحون: تظفرون بمرادكم من النصر والمثوبة، قيل: فيه تنبيه على أن العبد ينبغي أن لا يشغله شيء عن ذكر الله تعالى وأن يلتجئ إليه عند الشدائد، ويقبل عليه بشراشه (1)، فارغ البال، واثقا بأن لطفه لا ينفك عنه في شيء من الأحوال. (46) وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا: باختلاف الآراء كما فعلتم بيدر وأحد. فتفشلوا: فتضعفوا عن قتال عدوكم. وتذهب ربحكم: دولتكم، شبهت الدولة بالريح في نفوذ أمرها وهبوبها، يقال: هبت ريح فلان إذا نفذ أمره، وقيل: لم يكن قط نصر إلا بريح يبعثها الله. وفي الحديث النبوي (صلى الله عليه وآله وسلم) نصرت بالصبا، وأهلكت عاد بالدبور. واصبروا إن الله مع الصابرين: بالكلاءة والنصر. (47) ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم: يعني أهل مكة حين خرجوا منها لحماية العير. بطرا: فخرا وأشرا. ورتاء الناس: ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة، وذلك أنهم لما بلغوا جحفة (2) وأتاهم رسول أبي سفيان أن ارجعوا فقد سلمت عيركم فأبى أبو _____ (1) الشراشر الاثقال الواحد شرشره يقال القى عليه شراشره أي نفسه حرصا ومحبة. (2) وجحفة موضع بين مكة والمدينة وهي ميقات أهل الشام وكان اسمها مهية فأجحف السيل بأهلها فسميت جحفة.